الأرض المقدسة
الحدود والطريق

قراءة في قوله تعالى

(يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (21))

إعداد

معتز عبد الرحمن

إشراف

أ.د نور أبو عصب

أ.د خالد العويسي

شهادة دراسات بيت المقدس

1. تمهيد

تعد الكتب السماوية مصدرا معرفيا أساسيا عند أهلها، فالتوراة مصدر معرفي مركزي عند اليهود، وكذلك الإنجيل عند النصارى والقرآن الكريم عند المسلمين، وهذه المصدرية من أسباب دوام النزاع بين أصحاب الملل المختلفة إلى يوم الدين، لأن الجوانب العقدية والأمور المتعلقة بالمقدسات تعتمد على الوحي الذي تعتقد كل أمة صحته.

والوحي حاكم على الغاية والمسلك، وفي هذا البحث نسعى لتحديد معنى وحدود (الأرض المقدسة) كغاية يتعبد بمعرفتها ونصرتها، وكذلك المسلك القويم لاستردادها والحفاظ عليها، وذلك عبر النظر في قوله تعالى في سورة المائدة (يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (21)).

2- علاقة الآية بالموضوع العام للسورة.

تسمى سورة المائدة بسورة (العقود)[1] وهو اسم دال على الموضوع الرئيسي للسورة، والعقد هو (مَا عقد من الْبناء والعهد واتفاق بَين طرفين يلْتَزم بِمُقْتَضَاهُ كل مِنْهُمَا تَنْفِيذ مَا اتفقا عَلَيْهِ)[2]، والآية موضوع البحث هي أحد العقود الواردة في السورة، وبدأ السياق بذكر النعم التي أنعم الله تبارك وتعالى بها على بني إسرائيل قبل الأمر بدخول الأرض المقدسة (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (20)) وفي مقابل هذا كان على بني إسرائيل القيام بما عليهم (يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (21))، إلا أنهم رفضوا القيام بما أوجبه عليهم عقد التوحيد والإيمان وأرادوه عقدا من طرف واحد وهو ما لا يليق بالمؤمنين فاستحقوا بهذا وصف (الفسق) ثم عقاب (التيه) (قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (26))، وكذلك خسارة التمييز الذي نالوه في بداية الآيات (وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ)، وكذلك خسارة استحقاق هذه الأرض (الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ) لعدم وفاءهم بالعقد.

3- علاقة النصر بالتكليف (الطريق)

ورد في سورة المائدة أيضا الإشارة إلى اختلاف الشرائع بين الأمم (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا)[3]، فالأمم التي كلفت بالصبر فقط يأتي فيها التمكين دون جهاد، وهذا يشمل جل الأمم التي وردت قصصها قبل بني إسرائيل، بل ويشمل بني إسرائيل أنفسهم في حقبة فرعون، (وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ)[4]، فلما كلفوا بالجهاد بعد النجاة من فرعون أرادوا نفس النتيجة الأولى رغم اختلاف شريعتهم – عقدهم – في ذلك الحين فقالوا (فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا)، فاستحقوا العقاب والذم بعد المكافأة والمدح، وأمة محمد صلى الله عليه وسلم من الأمم التي مرت بالمرحلتين، (ولم يؤذن للنبي صلى الله عليه وسلم في القتال مدة إقامته بمكة، فلما هاجر أذن له في قتال من يقاتله من المشركين فقال تعالى:" أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا " ثم أذن له في قتال المشركين عامة)[5]، وعلى قدر وفاء الأمة بالعقد يكون النصر والفضل من الله تعالى، فلم يهلك الجبارون دون قتال كما هلك فرعون، ولم

---

[1] - (نحو تفسير موضوعي للقرآن الكريم) الشيخ محمد الغزالي، (التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم) نخبة من العلماء- جامعة الشارقة

[2] - (المعجم الوسيط).

[3] - سورة المائدة -48

[4] - سورة الأعراف -137

[5] - القرطبي، تفسير سورة البقرة.

يهلك القرامطة حين غزو مكة عام 317 هـ[6] كما هلك أصحاب الفيل، كذلك في شأن غزو الصليبيين والصهاينة لبيت المقدس.

4- الأرض المقدسة عند المفسرين المسلمين (الحدود)

وبالنظر في تفسير الآية موضوع البحث يمكن بناء تصور عن حدود الأرض المقدسة من المنظور الإسلامي، ومعرفة حدود المقدسات جزء من العقيدة أولا والعبادة ثانيا لاختلاف أحكام الأراضي المقدسة فقهيا عن غيرها، يقول المفسرون في قوله تعالى (الأرض المقدسة):

المفسر	المعنى اللغوي	نسبة الأثر إلى	التفسير المكاني
ابن كثير	أَيِ: الْمُطَهَّرَةَ	عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ	هِيَ الطُّورُ وَمَا حَوْلَهُ.
		عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - أيضا	هِيَ أَرِيحَا، قال ابن كثير – بتصرف – وفي هذا نظر إلا أن يكون المراد بأريحا أرض بيت المقدس كما قاله السدي.
الطبري	أي: المطهرة المباركة	عن مجاهد	الطور وما حوله
		عن ابن عباس	
		عن قتادة	الشأم
		عن ابن زيد	أريحا
		عن السدي	
		عن ابن عباس	
		ترجيح أبي جعفر من جمع الأقوال	لن تخرج من أن تكون من الأرض التي ما بين الفرات وعريش مصر
البغوي	-	عن مجاهد	الطور وما حوله
		عن الضحاك	إيليا وبيت المقدس
		عن عكرمة والسدي	أريحاء
		الكلبي	دمشق وفلسطين وبعض الأردن
		قتادة	الشام كلها
ابن عاشور	المطهّرة المباركة	-	وهي هنا أرض كنعان من برية (صِين) إلى مدخل (حَمَاة وإلى حبرون) . وهذه الأرض هي أرض فلسطين ، وهي الواقعة بين البحر الأبيض المتوسّط وبين نهر الأردن والبحر الميت فتنتهي إلى (حماة) شمالاً وإلى (غَزّة وحبرون) جنوباً
النسفي	المطهرة أو المباركة	-	أرض بيت المقدس أو الشام

---

[6] - البداية والنهاية، ابن كثير.

5- خلاصة البحث

ويمكن تلخيص المستفاد من دراسة الآية الكريمة موضوع البحث في عدة أمور:

الأول: أن المسلمين يؤمنون بكل الكتب السابقة ولكن على الصورة التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه لا الصورة التي بقيت بعد التحريف.

الثاني: أن حدود المقدَس والطريق إلى تحريره والحفاظ عليه لا تستنبط إلا من الوحي.

الثالث: حدود بيت المقدس (الأرض المقدسة) أوسع بكثير من حدود مدينة القدس المعروفة حاليا والتي تدور حولها النزاعات، وحصرها في الحدود الحالية يخالف المعلوم بالضرورة عند علماء المسلمين منذ القدم.

الرابع: أن وعود التمكين وأوصاف الخيرية التي وردت في حق أي أمة سابقة في كتابها ليست وعودا أو أوصافا متعلقة بجنسهم أو بمسماهم الحالي، وإنما هي متعلقة بصفاتهم ومنهجهم العقدي، تدور معه حيث دار نفيا وإثباتا، وأمة محمد صلى الله عليه وسلم إذا التزمت كتابها فقد استحقت كل وعد تمكين وكل وصف خيري ورد في الكتب السابقة، وتفقده إذا حادت كما فقدته الأمم السابقة أيضا بالحيود عن الطريق.

الخامس: أن القرآن حاكم على ما سبق من الكتب، فحتى لو ثبت عدم تحريف نص معين في كتاب سابق وجاء القرآن بخلاف فإن القرآن ناسخ له ومقدم عليه (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ..) سورة المائدة